أيقونة وصلاة عميقة

غازي النّاصر

يعبر الآن وجهك ذاكرتي ...
فتجن دمائي ،
واهرع آه الى عربات السنين
المهاجرة ، الآفله
والملم كل التواريخ عن وجهي المتناثر،
أدخل كالنار في زمني الطحلبي ...
ـ أهذا زماني :
دوار ، دوار ،
يباس ، يباس ،
وصرخة ضوء ذبيحة ؟
يعبر الآن وجهك :
بيرق حزن ،
وزخة نار ...
ويكبر جرح المخيم في صدرك ...
الآن تتسعين ، وتحتضنين الرماح ،
وأزهار قتلاك ...
انظر ، انظر :
يهرب كل السلاطين من نظراتك ،
يزدحم الفقراء على شفتيك ،
ويخرج من صوتك « القرشي »
الفدائي
تلو الفدائي
تلو الفدائي ...
تبتسمين :
فتزدهر الاغنيات ،
وتنمو شفاه المخيم ،

★★★

والمقل الضائعه .
يعبق الآن وجهك بالزعتر البلدي ،
واصغي :
هتاف ، هتاف ...
وتنثال صوبك من كل فج عميق
قوافل
تلو قوافل
مفعمة بالحجيج ...
وتجثو العواصم بين يديك ...
فتبتسمين، وتبتسمين، وتبتسمين...
وينثر كل ذنوبه ،
ويقدم كل صلاته !!

★★★

ويسافر من فمي التسآل ، وأصرخ :
كيف خرجت من الزحمة ؟
بل كيف فتحت نوافذ هذا الفرح
الاخضر في زنزانة
موتك ؟
كيف امتدت عيناك جناحا من رحمه ؟!

★★★

فتبتسمين، وتبتسمين، وتبتسمين...
واصغي :
ـ سلاما ، سلاما
ولدت من البرق ...
كان الزناة سهاما ، وكنت الفريسه!!
واذكر اني ذبحت كثيرا ، كثيرا
بأسفارهم ،
في جميع المدائن ، والاعصر البائدة !
واذكر :
كانت عيون الصليب تسابق خطوي..
فأحضن موتي ،
والصق فاهي المدمى على قدمي
الصليب ...
خواء هو الموت فوق الصليب ،
خواء هو الموت فوق الصليب ،
خواء هو الموت فوق الصليب !
واذكر :
كنت أشيل البكارة ليلا ،
أخبئها عن عيون الزناة .
واذكر :
كنت أشيل دمائي ،
في سفري بين شتى العواصم ...
أذكر آه مراثي « ارميا » ...
فأضحك ، أضحك ...
يا للزمان الخؤون ،
ويا للدموع السقيمه !
ـ ارميا ، ارميا ...
سألبس هذا الصباح دماء «السموع»
سألبس هذا المساء عيونا ،
مثقبة الحلم من « كفر قاسم » ...
وأصرخ :
أين مراثيك من « كفر قاسم » ؟
ـ ارميا ، ارميا ...
تضيق جميع المدائن عن وجعي ،
ويقفز وجهي المدمى ،
أمام جميع السطور
أمام جميع العيون ...
وأخرج من غسقي المتناثر :
أيقونة ، وصلاة عميقة !!
وأبتسم الآن :
كل الصباحات أعرف شطآنها ...
وأصلي ...
وأبتسم الآن :
كل المساءات أعرف شطآنها ...
وأصلي ...

فلسطين